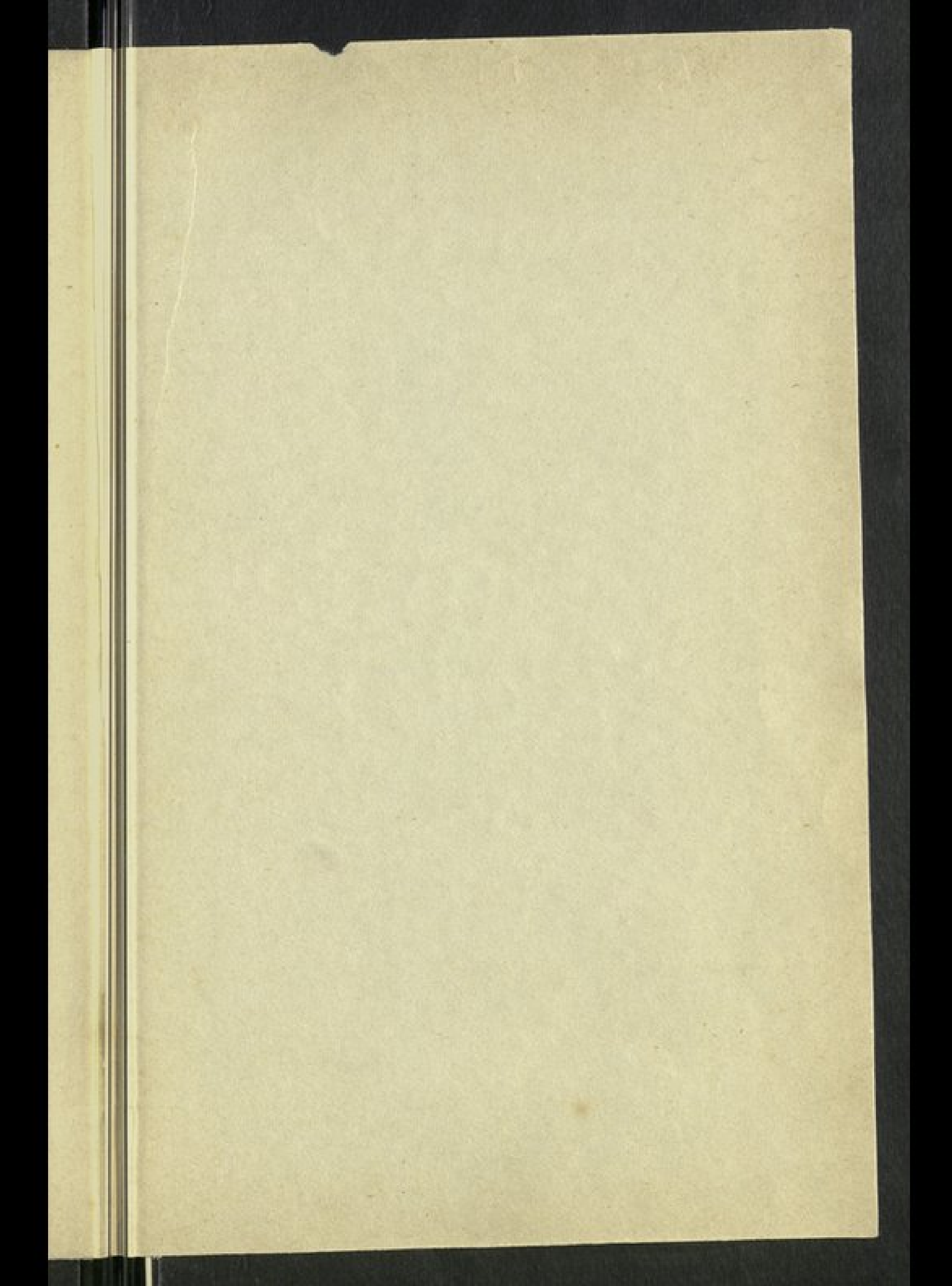
ميشال شكري كمال

# وحي الأمم

منشورات مكتبة الكمال


UNIVERSITY
LIBRARY

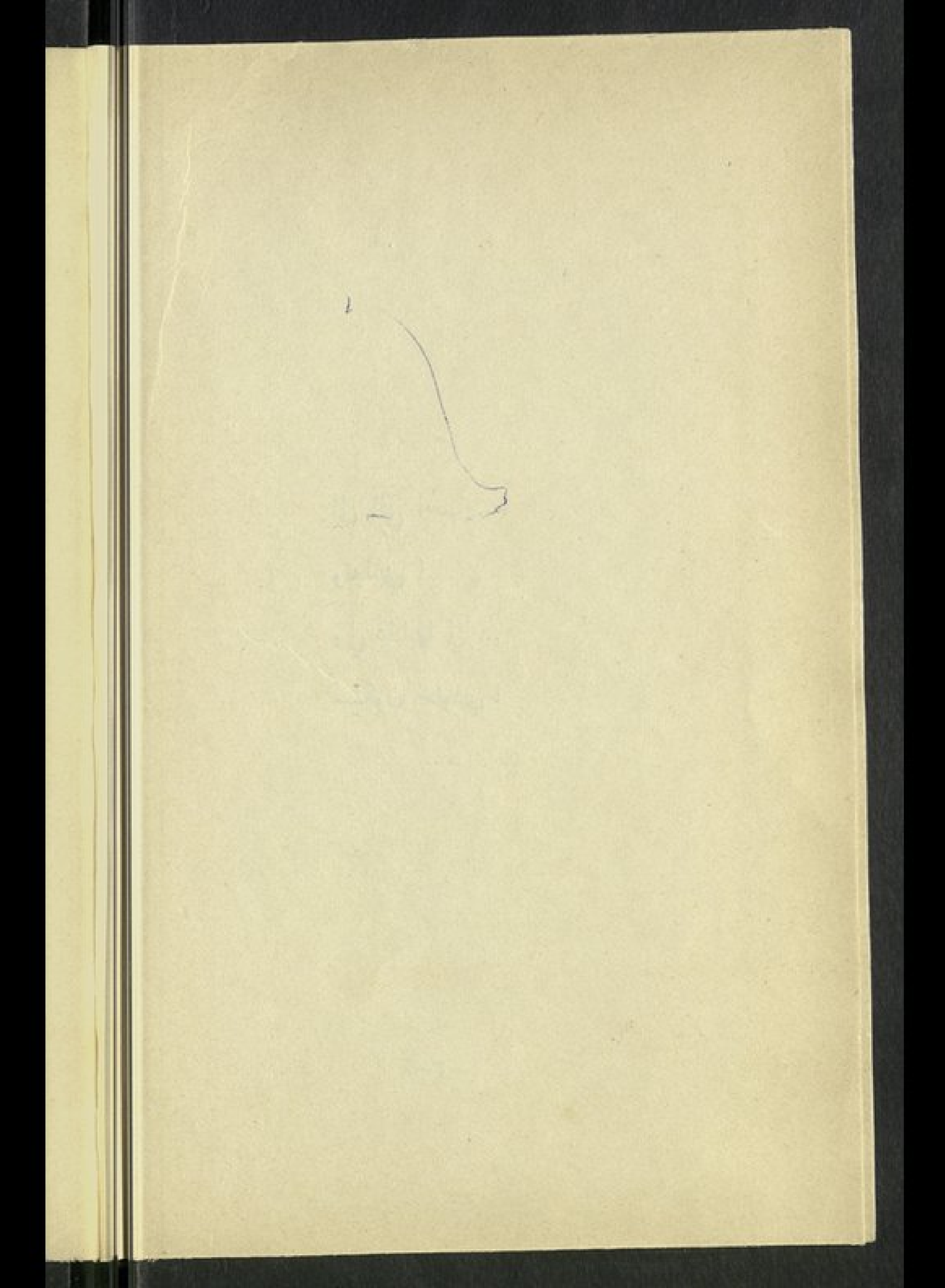


الى التي احبها ...

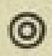
وتعذبني !

وفي عذابها لي ...

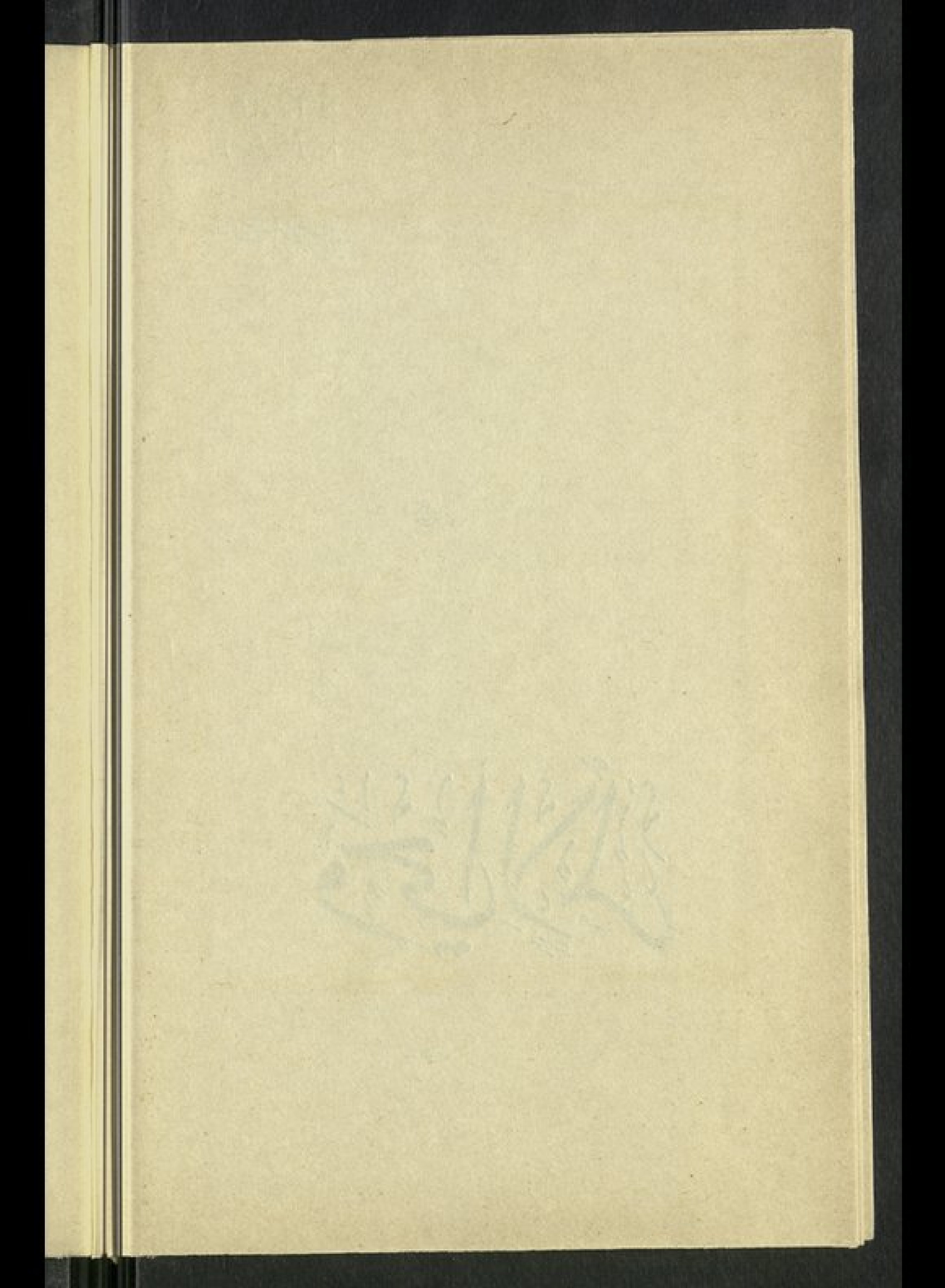
سيكون خلودي !

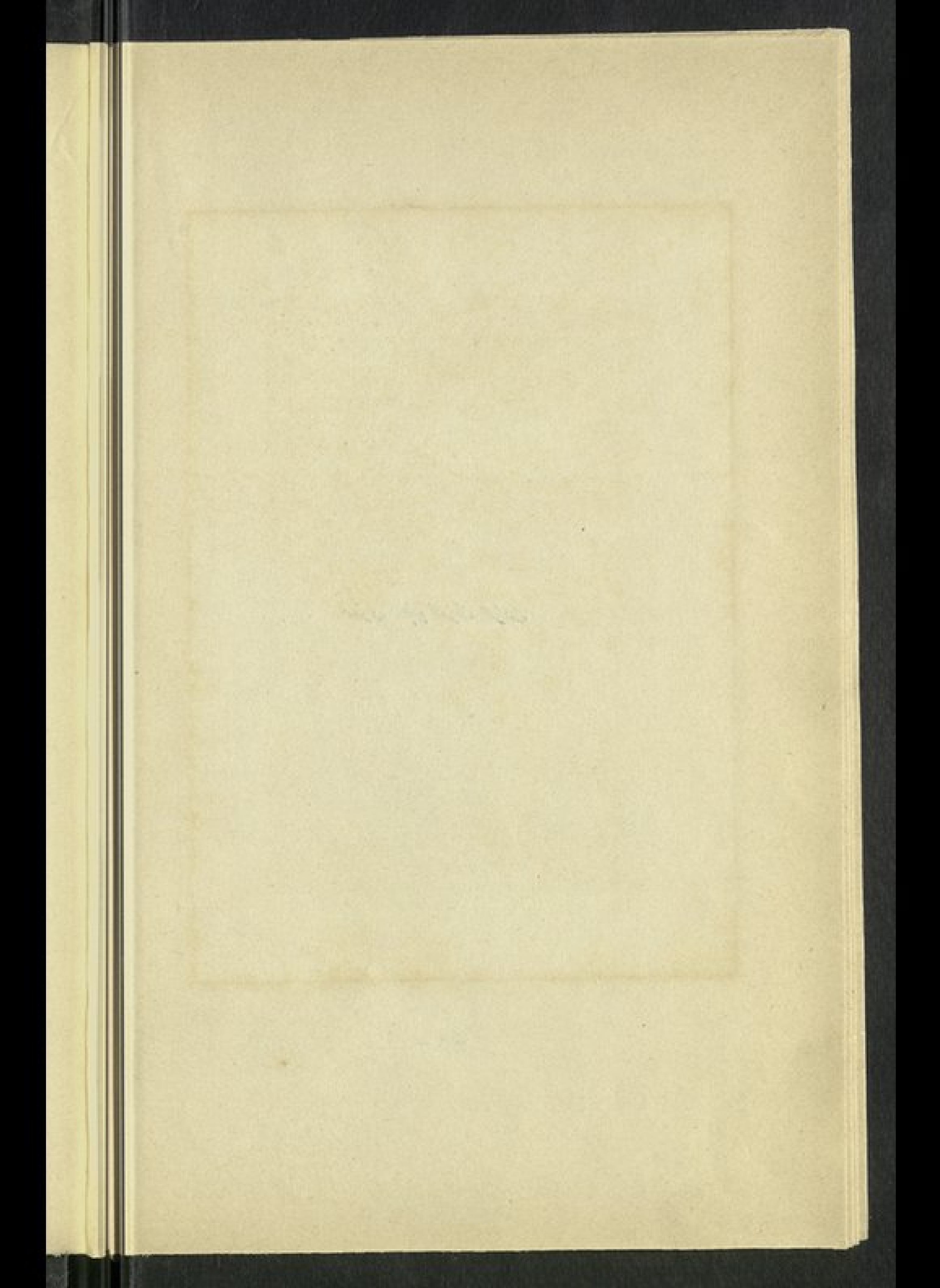


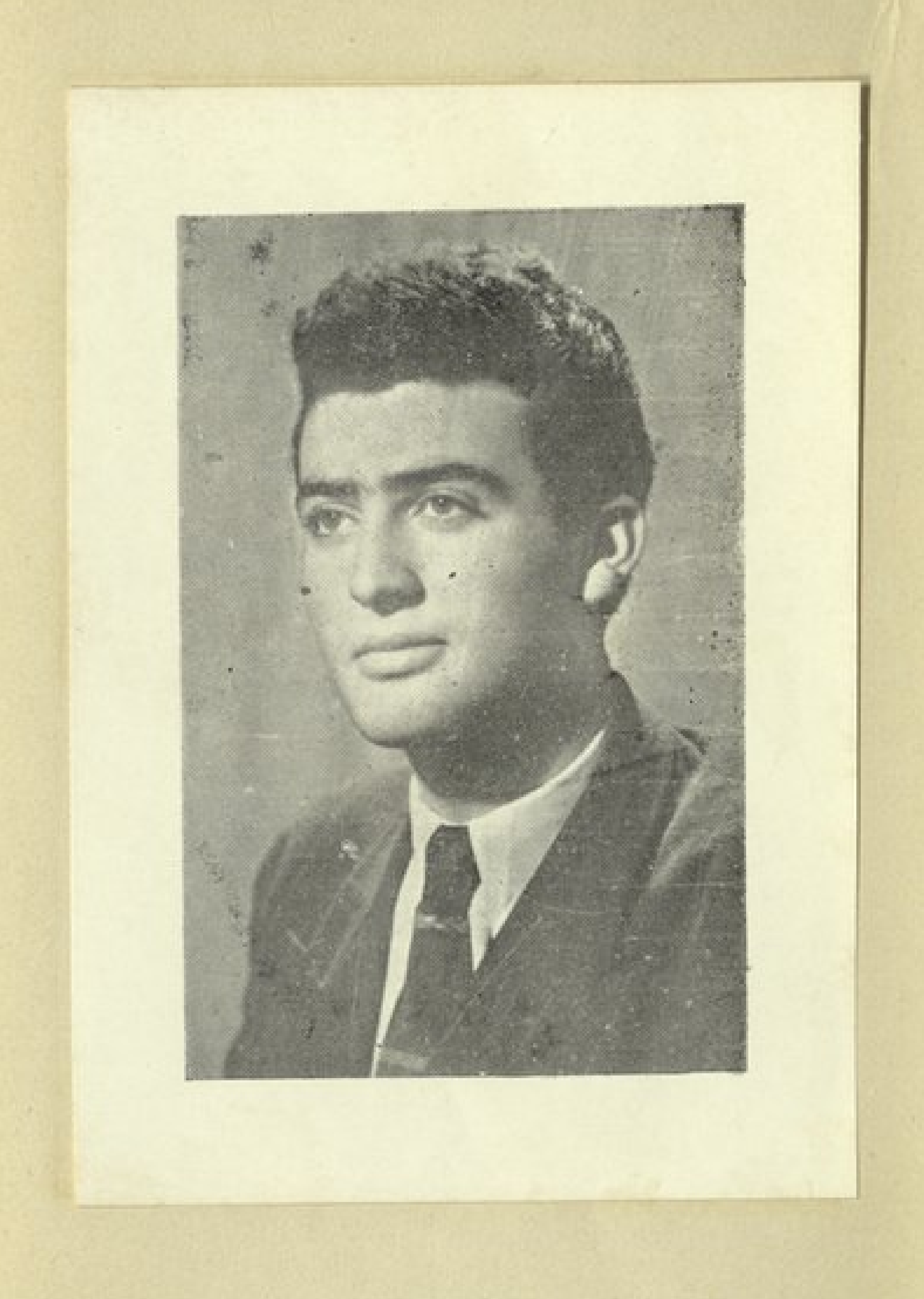
ميشال شكري كسان

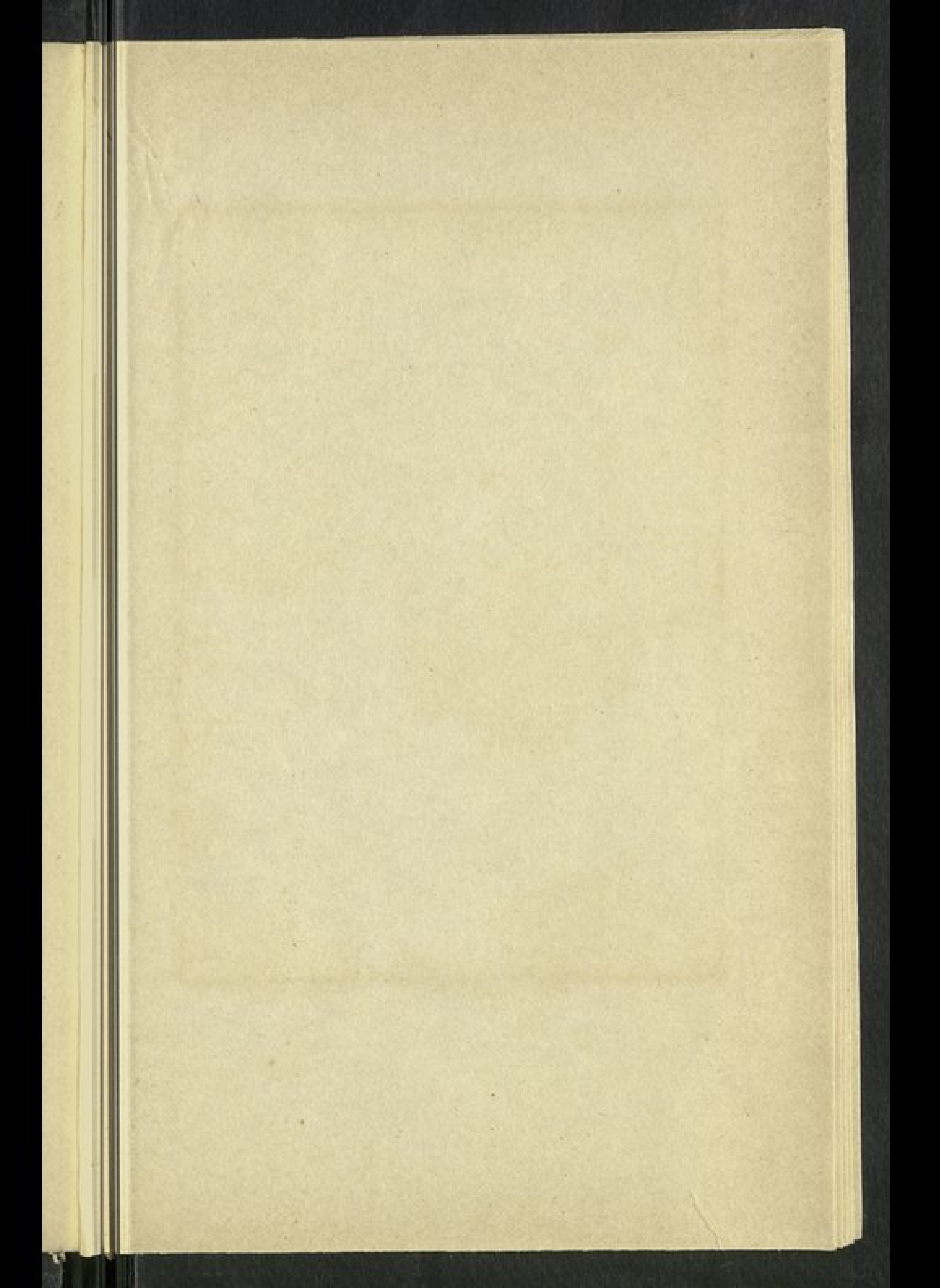




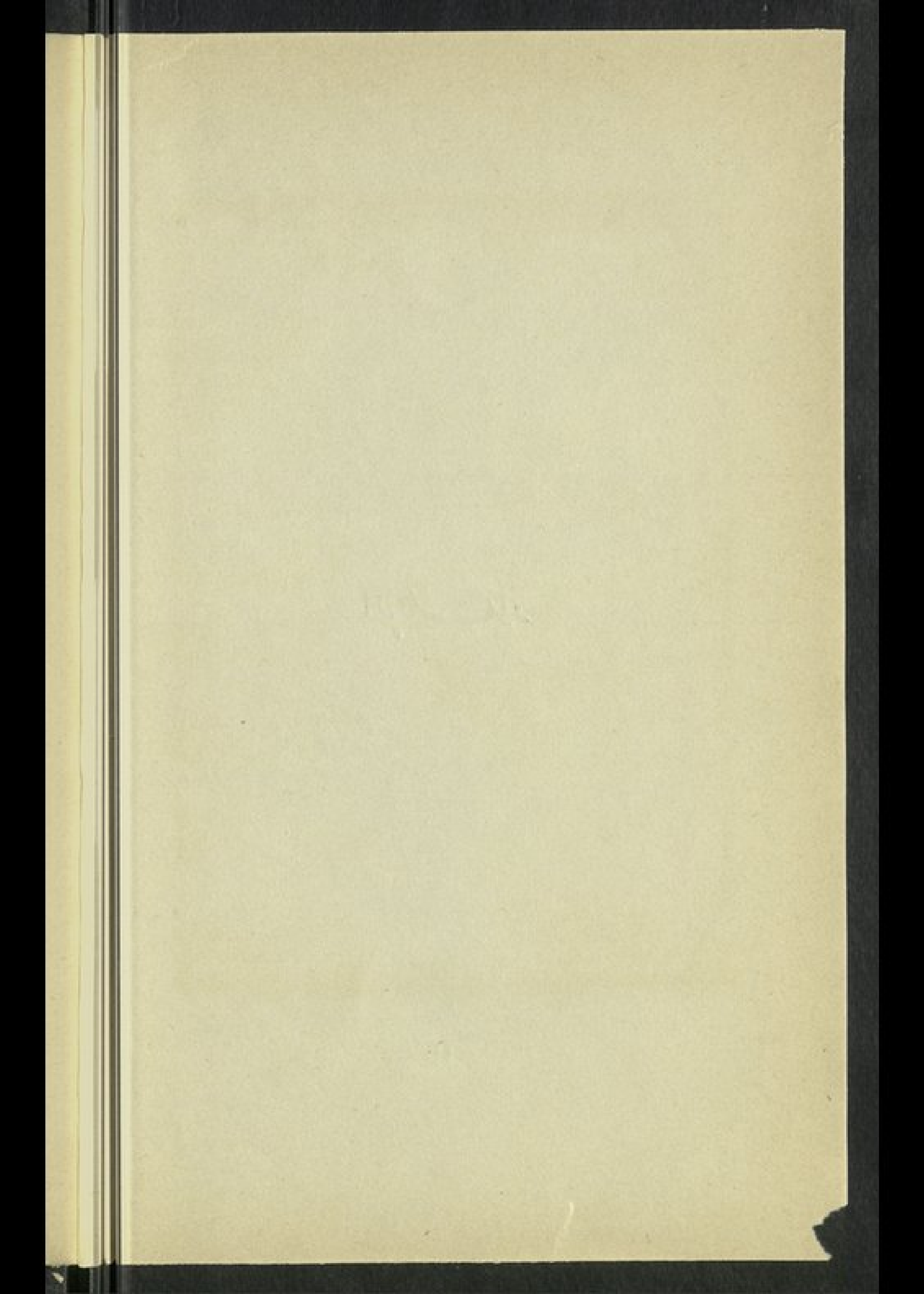








# الإهداء



ليست هذه المأساة ، خيط من حلم ، او نسج من خيال.

وليست هي ، بنت البارحة ، واخت اليوم .

ولا تظنن ايها القارىء الكريم ، انها صدى وقع عجيب ، يتجاوب مع الاحساس ، يحمل نغماً بغير عاطفة... وعطراً بغير رائحة... وحقيقة بغير وجود ...

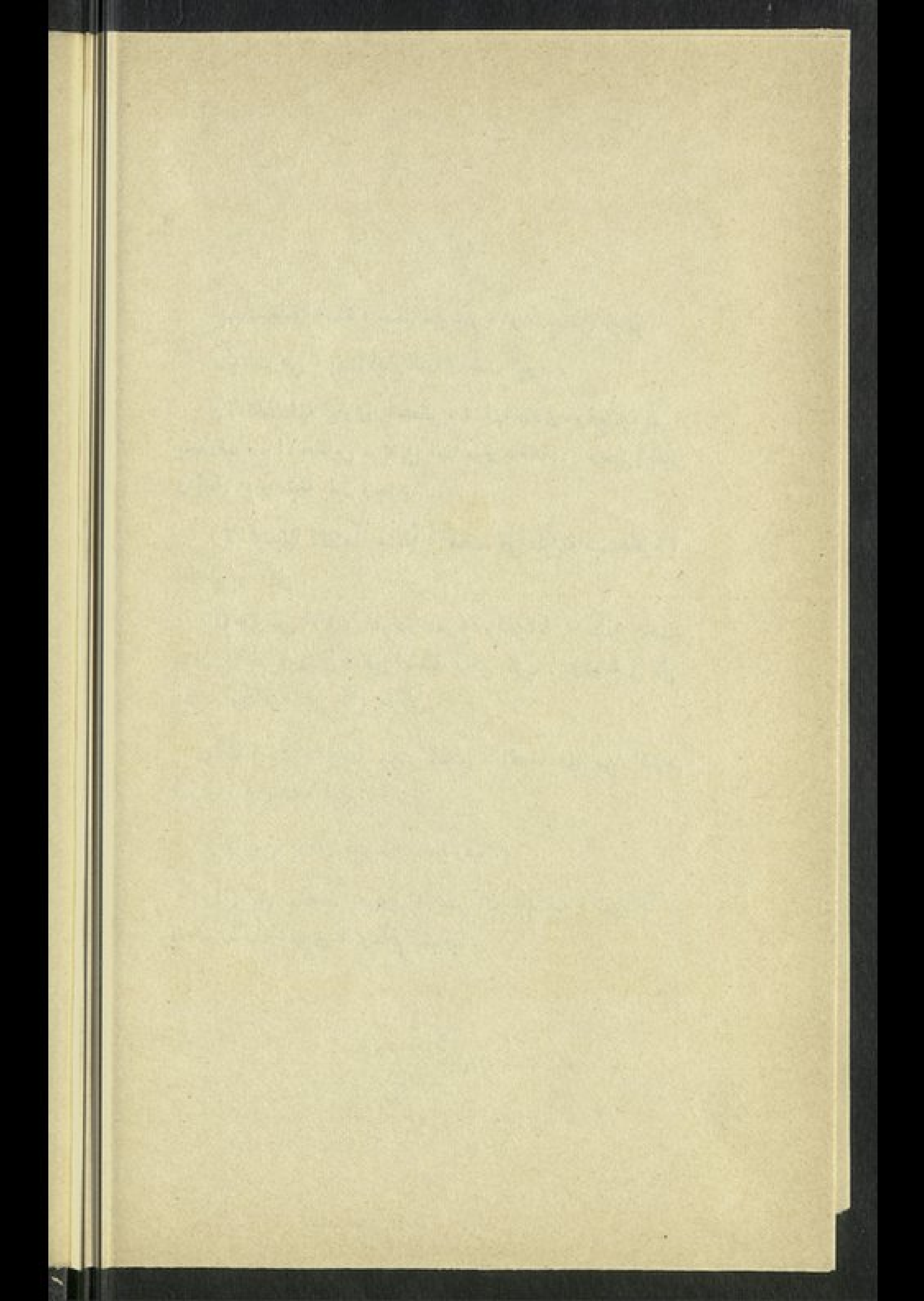
ولا تحسبنها كلاماً منمقاً ، صف على طريقة مبتكرة ، ليتسلى بها طفل .

ان « وحي الالم » مجموعة دموع واحزان ، مثل تحت ستار الايام والليالي ، فهو خفقة لكل قلب . ودمعة في كل عين . وفكرة على كل خاطر .

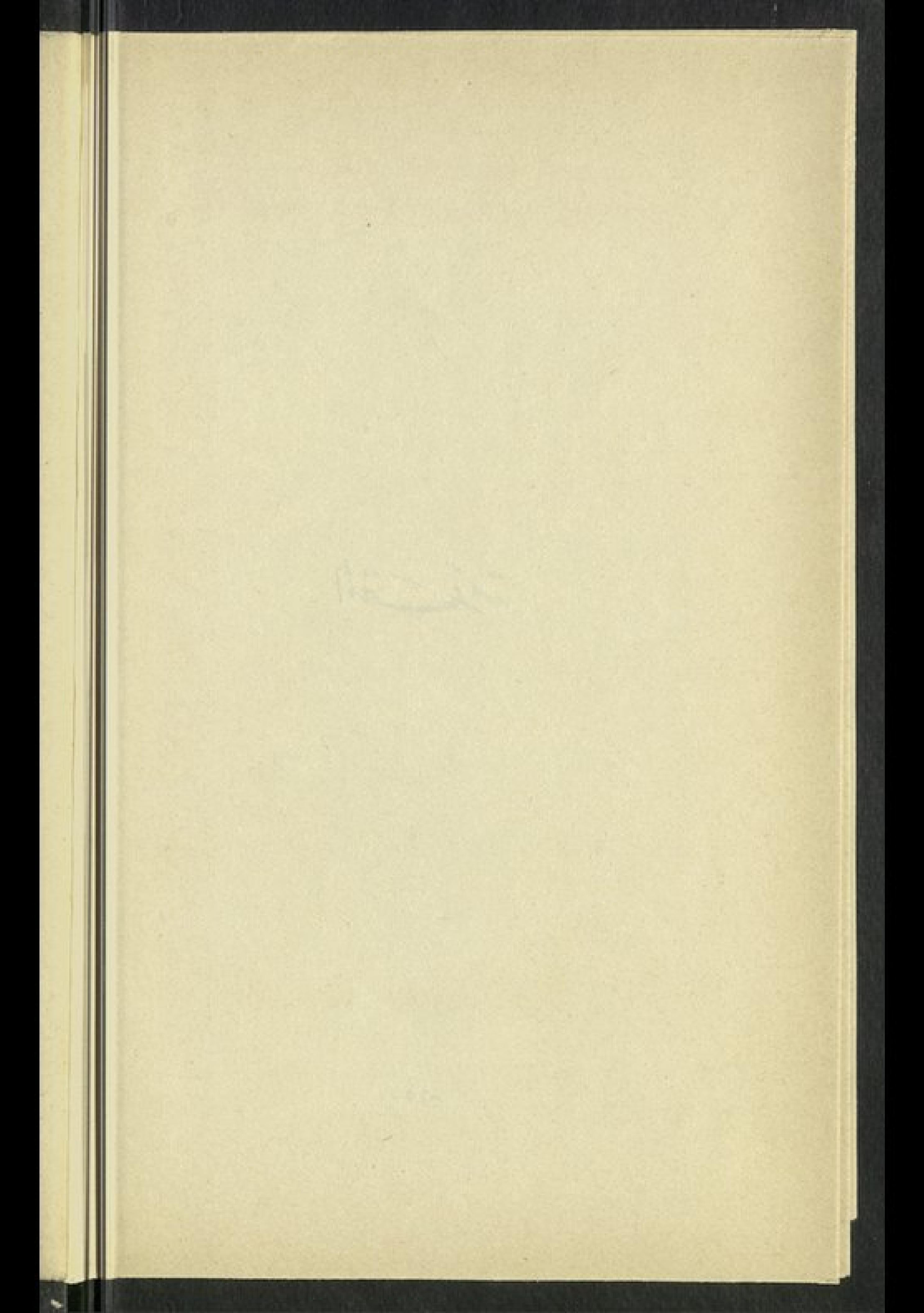
وانه ايضاً ، قطعة من كبدي ، اقدمه الى من اضناه الهوى ، واسقمه الهيام .

والى من خانه حبيب ، عله يتوب .

والى كل معذب محروق ، عسى ان يجد فيه ، شريكاً ، يقاسمه مأساة الهوى ، ومأتم الشباب .



# المقدمة



عذباه ... شرّدا قلبه الصغير ... بعثرا احلامه ... كم ذرفت من الدموع عيناه ؟!.. كم مزقت عصا المغبة ثوبه ، وادمت جسده الحنون ؟.. ويحه ... شقي!!! ولد والخريف على موعد ، وعاش في خريف ، ثم مات في خريف .

تلك امه ، وذلك هو ابوه ، اثنان ، الحجر الاصم الين منهما . ارضعته امه ، الالم والعذاب ، قبل ان ترضعه الحليب والحنان . واذاقه ابوه ، من الشدة والغلاظة ، فوق طاقة نفسه ، فعاش في بحرين ، من الجنون الذاتي ، طيلة مدة صغره .

واحس فجأة ! بنور خفيف يتسرب الى خلجات قلبه . وازداد هذا الاحساس شيئاً فشيئاً ، واصبح النور يغمر كل قلبه ، فلم تعد فيه خلجة ، الا ونبضت بالحياة . ذلك هو الشباب ، وقد شق طريقه نحوه . اقفل ابواب الماضي ، وفتح سبل المستقبل الغامض ، واراه بصيصاً ، دهش له ... وارتعشت اوتار قلبه لموسيقاه ... وافتر ثغره ، عن بسمة عميقة ، تتحدى اغمض سر حجبه الكون .

ولقد فسر هذا الشيء ، بمكنون داخلي . بحياة الربيع والشباب... بالنور والظلال... بمعانقة الزهرة لاختها... بمزاحمة الفراشة لرفيقتهـــا على اكمام الورود ... فتأمل ، وتأمل طويلاً ... وادرك انه قد فاته في ما مضى ، عنصراً هاماً ، هو شهقة الروح... ونبضة الفؤاد ... وما هذاالعنصر الا الحب !

واحب !.. احب بملء جوارحه ... بعصارة قلبه.. وبذل كل غال ورخيص ، في سبيلها – تلك التي احبها – وقدم يومه وغده وكل دنيـــاه ، قرباناً وعربوناً لها ، على اخلاصه ووفائه .

تلك العين ، وهاتيك الشجيرات الناعسات ، من الصنوبر المعطار ، كم شهدا كوكبين ، يا فعين الطلعة .. بهيين المحيا.. وذلك الغروب ، كم صافح ووجهيهما ، عند المساء ، بتلاويحه العسجدية الغاوية .

لكنها لمحة خاطفة ... مرت ! وخان الحبيب الحبيب.. فوا اسفاه !...

... وعاش عيشة من يبغي في الموت رفيقاً مؤنساً ،

ونديماً مرفهاً ، بعد ان طعنت – هي – حبه ، طعنة نجلاء .. وطعن حبه قلبه ، فاصابه في الصميم .

وعندما بدأ المرض يدب الى صدره ، ينخر به ، ويعشعش في حناياه ، واخذ وجهه يعلوه اصفرار كالموت. وانفاسه تطردُ محمومة بين اضلاعه ، بعد هذا كله ، خاف اهله الاقتراب منه . فسار الى هناك ... الى القريب البعيد... يستوطن ارضاً عزيزة لديه ، فيها ذكرياته وحلو ايامه . فيها بعث من جديد ، والآن ستلحده تحت اكفانها من جديد !

فكأن الصنوبر ... ما بكى قبل الآن ! وكأن العين الثكلى ، ما فجعت الا به ! ...

ودوّن مذكراته ، مأساة حبه ، وايام هواه . فأتت مثالا لروح تعطشت للحب ، ولايمان معذب ، سيخلده البقاء ...

واحب ان يقضي ، ما بقي له من حق في ارض الفناء ، كأغنية حلم ... على فم الزمن !

لكن ؟! ..

كيف له الخلاص ؟ .. واهله الغرباء ... والجمع المحتشد حوله ، يضحك منه ، ويهزء به ، ولا ينعته الا بكلمة مجنون ...

وصرخ بصوت هزيل كالدخان ! وارتعش جسده كالورقة الصفراء ...

لعله كان في حمى الذكريات...

وافاق !..

او لعل « اليسار » مرت في خياله ، فطفق يتذكر السويعات الماضيه . فعاوده الحنين ، وعادت الذكرى تعصف بفكره ...

.....

من يدري ؟؟؟

دعوني !

دعوني وحدي !!

فلي مع الوجود ،

بعض ذكريات ،

استودعه اياها ،

قبل الرحيل...

انصرفوا !..

تواروا !..

يا ابناء البشر ،

واتركوا معبدي لي...

ولي وحدي !..

فهو سيشهد ،

مصرع الحياة ،
في وادي الموت .

بالله يا امي ...
ما بغضتك قط !
ولن ابغضك ابداً ...
بالله...
ابتعدي... ابتعدي...
قبل ان تجف الدموع من عيني ،
ويقسو قلبي !
فتندمي ...
حين لا ينفع الندم .

لا...
لا تنظري اليّ :
هكذا يا امي !
انت الجانية...
وانا المجني !

صوتك المخنوق ،
يزيد في المي .
ابتسمي قليلا ...
وانسلي في هدوء ..
فذلك يفرح قلبي ،
بعض الشيء ،
الوداع !..

وانت يا ابي ...
انت المجرم !..
مجرم بحقي !
وبالحياة !
وبالموت !

لا تحقد عليّ ...
يا ابي !
ربما انا على خطأ ،
رغم شهادتي بك وبجرمك

لانه لولاك ،
ولولا المعركة التي خضتها
في سبيلي .
في سبيل انجابي ،
الى الوجود ...
لِمَ احببت !
ولِمَ تعذبت !
ولِمَ استعذبت التضحية والفداء !
ولِمَ رأيت ما رأيت !
وعلمت ما علمت !

اذن !!!
بالله يا ابي ...
ببقايا حبك لي !
بثمالة لهفة ابن ،
لابنه !
تقهقر من امامي ،

ودعني ارى ما بين حاجبيك...
تلك الخيوط ...
التي طالما اسهدتني ليال ،
وانا ابحث عن مغزاها ،
وعما تكنه .

لماذا انتم واقفون ،
تنظرون اليّ ،
نظرات قسوة وشدة وتهكم ،
ايها الناس ؟..
لماذا تنظرون الى مصدور ،
اعماه الحب
واسكره الجوى ،
هذه النظرات ؟..
بالله ابتعدوا !
لقد ودعت امي وابي !
فالمعبد لي...

ولي وحدي !..

ذهب..
ابناء قومي !
وليست على اعينهم..
دمعة !
ولا في قلوبهم..
غصة !
ولا على وجوههم..
اثر الحزن والبكاء !...
فوا قلبهم الحجر !..

ها انا...
والوحدة سلوتي..
والدمع نديمي..
واليراع رفقتي...
وبعض وريقات بيضاء ،
سأسطر عليها من دمي ،

ذكريات عاشق مهدور ...

الغروب...
منظر يحز في نفسي ،
ويزيد في لوعتي ،
لانه يذكرني ،
بغروب حب ..
وافول نجمة...

احس بدوار في رأسي ،
لالزم فراشي ،
وادفن ذاتي ،
ضمن غطاء من الظلام ،
فهي تخاف النور .

معبدي ،
ليس سوى بقايا اغصان ،
التفت حولي بتثاقل وارتباك .

معبدي وحيد في غابة ..
وانا وحيد !
لله ما اصعب الوحدة ،
دون ذكريات ...

لارجع الى الماضي..
واستعيد صفحاته المطوية..
وان يكن في المنام...

هذا الصباح ،
قبل طلوع الفجر بقليل ،
خرجت من فمي ،
قطعة من كبدي .
حمراء !..
كلون الشفق ..
تبشر بشباب يحتضر ،
على مذبح الحياة .
فالاعجل بالمذكرات...
فالخريف قادم ،
وانا قريب منه ،
قريب ...

لابدأ الكتابة ..
وماذا عساني اكتب ،
كتمهيد ؟ –
الافكار في رأسي ،
تدفع كتيار جارف !
هل لطفولتي صورة ؟
اجل ! اجل !
صورة صادقة ،
عن حياة ،
كلها عذاب والم .

لقد خطت يد القدر ،
على جبيني ،
صفحة سوداء ،
لظهوري الى الحياة .
فهي حاقدة علي ،
اكثر من حقدها ،

على ابي وامي .

ارادت عذابي ،
فكان لها ما ارادت ،
تلك هي شريعة الحياة...

شربت كأس العلقم ...
حتى الثمالة !
ما احلاه ...

ابي كان له عليّ ،
في كل يوم ضريبة .
وما اخبث تلك الضريبة !
انه يصفعني ،
على وجهي !
يذلني !
لا لشيء ..
ان له لذة ،
في الصفع والمذلة .

فاذعنت .

اما امي !
فكانت تلك الكلمات الشنعاء ..
وما احقر تلك الكلمات..
كانت تطعنني بها ،
كطعنة سكين في القلب !
لم اسمع من فمها مرة ،
كلمة يا ولدي !
ومع كل هذا ،
فانا سمح غفور ..

... والدولاب يدور ...
وانا اكبر !
والدهر يصفر ،
وهم لاهون عني ،
امي ...
وابي ...

فانطفت في نفسي ،
جذوة الطموح .
واصبحت رفيقاً ،
للتعاسة والالم .

الالم ؟!
اجل !..
لقد ولد الالم ،
في الدقيقة ،
في الثانية ،
في الآهة ،
التي كنت على اثرها ،
مطلا على الوجود !
وهو سائر بضلوعي ،
الى الكفن .

ليس لي انيس ،
يؤنسني ،

ويرفق بي !
آه من امي وابي !
فدمرا روحي ،
بعنفهما وقسوتهما .

لم يكن ابي ،
ليفهمني .
ولم تكن امي ،
لتدرك مدى شعوري .
لاني كنت ،
وما ازال ،
رقيق الشعور ..
صادق الطوية ..
مرهف الحس ..
كبير القلب ..
صفات ميزتني عن البشر ،
واقعدتني بعيداً عنهم ،

لاني رأيت فيهم ،
نموذجاً لابي وامي .

كنت صبياً ،
يومذاك ..
غريراً ..
اركض تائهاً ،
في الاحراش والغابات ،
مع اولاد القرية ،
لا حبا ..
باللعب معهم !
بل بالبحث ،
عن من ارى فيه ،
صورة لقلبي الحزين المتألم ..
لقد ذهب البحث سدى ؟!.

حرماني المدرسة .
وابعداني عن كل ما هو ،

حبيب لنفسي .
لكن فطنتي كانت اقوى منهما ،
فتعلمت بدون مدرسة..
واصبحت اقرأ واكتب بسهوله .

ولقد قصا ..
شعري الناعم الهديل..
واصبح رأسي ،
الاقرع المنحوس !
فالاولاد ابتعدوا عني !
والوحدة تملكتني !
وصرت اخاف النور .
واخاف الحياة ..

.. والشباب..
حلم جميل ،
مضمخ بالطيب !

واقبل الشباب..

يتبختر بخطىً ،
كلها امل واعتزار .

وراح قلبي ..
ينتفض ،
لكل ما هو حلو وجميل ،
انتفاضة عصفور ،
بلله الندى .

كنت قبل ان يأتي ،
ربيع عمري .
كالاصم الابكم !
ارى في وجه الطبيعة ،
البؤس والشقاء .

اما والشباب ،
اخذ يبحث عن افراده .
فرآني منه ،
قلباً وقالباً !

فصوّب اليّ ،
سهمه اللماع ،
ووهج قلبي ببريقه ،
فسرت في الطريق !..

حينذاك ..
احسست عند كل طلوع فجر ،
بشيء عذب ساحر .
انه فجري الجديد !
واملي الجديد !
فسمعت قلبي يهتف :
من جديد !..
من جديد !..

واحببت النور !
واحببت الحياة !

وعشقت كل شيء حولي !
فغدوت منتشياً مخموراً .

وغابت ،
ذكريات طفولتي الماضية الاليمة ،
غياب اليقين في الهشيم .

وشغفت بالمطالعة . .
فكنت اقرأ ،
من قصص الغرام ،
الكثير من الكتب !
فانصهر في بوتقة ،
كل قصة ،
كأحد افرادها .

وكانت احب القصص ،
الى نفسي .
تلك القصة القصيرة ،
المحبوكه الاطار ،
القليلة الحوادث ،
المتعانقة الصور ،

التي ارى فيها ،
واشعر معها ،
اني منها ،
وهي مني ،
وذرة من ذرات روحي .

وهذه قصة ،
من تلك القصص ،
التي احببتها .
سوف اخطها ،
في دفتر مذكراتي .
ولماذا سوف ؟
بل الان !
لانطلق في الكتابة ..

ان الحياة قصة ،
خطتها يد القدر ،
على جبين الحياة ..

اما مؤلف القصة ،
فمن الشباب..
والقصة عنوانهـا ،
« كبرياء محطم » !
لله ما اروع هذا الكبرياء ..

◎

– لقد وعدتك بان اقص لك واقعة جرت لي ..

– ووعدتك بكتابتها ، ونشرها في احدى المجلات !..

– لكنها ليست يا صاحبي بذات اهمية ؟

– خلي عنك – يا جان – وكن مرتاحاً ...

– اريد ان يكون اسمها « كبرياء محطم » !

– لعلها من الصنف العاطفي ، او على نحو ذلك ؟

– هذا مما لا شك فيه ...

... وتقدم صاحبي ، من النـــافذة المقابلة للبحر ، ووقف هناك ... ثم اشعل سيجارة ، ومج منها نفساً طويلا وقال :

الحب ، كلمة لم اعد اؤمن بها . فهي جوفاء ، فارغة ...

لاتحمل سوى الرياء والخداع فقط . الحب ، طيف تلاشى في زوايا الجهل والغباوة ، طيف غطس في اوحـــال المستنقعات ، وغاب في مجاهل الدناءة ، فتعفر جبينه ، وتمرغ قلبه . كل هذا ، الحب واكثر !

ـ دعني احدثك عن وقائعه !

كنت شاباً غريراً ، لا هم لي ، الا اللهو والعبث والتمتع بلذائذ الحياة وشهواتها ، مندفعاً مع موجة الصبا ... ورونق الجمال .

كان الحب درعي في تلك الايام ، اراوغ بأسمه ، واوقع العذارى في شباكه .

كنت طموحاً ، واي طموح تعجرفت فيه .

كنت اريد ان اقتنص كل عذراء تعجبني ، واضمها الى جعبتي الملىء من ذلك الجنس الذي علت قيمته ، وقلت اصنافه .

لكنهـا بيضاء ... تلك التي عذبتني ! فكفرت بشبـابي

ورجولتي ، ذاك الشباب الذي حسبته لا تقف امامه عقبه ، وتلك الرجولة التي كنت اعتز بها واتخيلها نعمة لي ولآمالي في الحياة .

لكن « توزا » كانت بيضاء ... الكبرياء تعلو اهدابها ، واللامبالات مسيطرة عليها . استعملت جميع ما كنت ادخره في مثل هذه الحالات ، من لين . واغراء . واستعطاف ... وهذا كله ذهب عبثاً ... امام من ؟ فتاة بيضاء ...

يا لذلك الوجه العاصف بشتى ضروب القسوة والتهكم ! يا لتلك العيون الناعسة ، التي صيرتني مجنونا ، كم تحمل من الوان الهزء والسخرية ! يا لتلك النظرات القاتلة التي طوقتني ضمن عرين ، فاصبحت لا اقدر على فراقها ، رغم الخطر المهدد بي . رباه ! ... كم حلمت بتلك الشفاه الخمرية اليانعة ... كم بنيت من الأحلام والأمال ... كم قاسيت في سبيلها من لوعة وهوان ... كم كنت شديد الذهول امام همساتها ... بل كم كنت مجنوناً ، واى مجنون كنت ! ...

كم اشتهيتها آنذاك ... اشتهاء العمر للبقاء ! اشتهاء النور للحياة ! اشتهاء الربيع للحب ! ومع هذا ، فوا اسفاه ! ..

كنت ايضا عاشقاً خائبا .

ويحها !.. لقد نغصت عيشي ، وجعلتني في حيرة من امري . لا ادري ماذا افعل ? واي طريق اسلك ? ! طيفها في صحوتي ومنامي ، ابداً متشبث امام عيني ، خلف ظهري ، وقدامي ، على جانبي ، فوق رأسي ، في قلبي ، بين جوارحي ، لا يقر له قرار . يهزأ بي ، ويضحك مني ، ورغم كل هذا العذاب ، وما كنت الاقيه من خيبة . لم اتقهقر عن مرادي ... اردتها في كل لحظة وثانية ، بل اردتها مدى العمر . حينذاك ادركت ان الحب ، حط رحاله في قلبي ، واشعل ناره بين ضلوعي ، وحمل مشعل العبادة له ، الى منصة القضاء ... ليريني ما يكابده المحبون من شقاء وحرمان ... ليضع الحقيقة امام عيـــني : « الحب دمع والم وعذاب ، فمن عاش له ، سلام عليه » . وهذه الحقيقة ايضاً ، لم تنهني عن مرادي ، وتردعني عنه . لأني تعلقت به ، تعلق الظمآن بالماء ... تعلق المائت بالحياة .. واخيراً ... ، تعلق المحب بمن يحب !

- يا لك من محب خائب ...

- تمهل يا صاحبي قليلا ... لم انته بعد !

وبعد ان قطعت الأمل ، وذهب آخر خيط من خيوط الرجاء. انتظرتها ذات ليلة ، على قارعة الطريق . وما ان رأيتها قادمة من بعيد ... حتى اندفعت نحوها ، كالسيل الجارف . وركعت امامها كالمنهوم ! ... محطماً كبريائي ! صارعاً روحي ! متضرعا كطفل صغير ، ان تحن علي وتشفق بشبابي ... فتطلعت الي ... وطيف ابتسامة عذبة يعلو وجهها . فأدركتني رعشه ، ارجعت بعض هدوئي . ثم مدّت يدها نحوي ، ولامست بها يدي ، واوقفتني قائلة بكلمات سقطت على قلبي سقوط الصاعقة على كوخ صغير : اني اعلم ما تكابده من اجلي . واعلم ايضا انك تحبني بشعور سامٍ وعاطفة نزيهة ... لذلك لن اقف في طريقك حجر عثرة . ولن اجعل الناس تنهش سمعتك بحبك لفتاة ساقطة ، لن يكون لك منها املا او رجاء . لقد فعلت ما فعلت ... ايماناً بحبي لك ، وتضحيتي في سبيلك . غدا ... سوف لن تعود ترى هذا الوجه .

غداً ... سوف ينفك عنك هذا الكابوس المرعب الذي اراه الان ، متفشياً في خطوط وجهك . غداً ... يوم آخر . غداً ... يكون الفراق ايها المحب الولهان . غداً ... سوف تذهب تلك النكرة التي اخلصت لك الحب ، وستبقى مخلصة، الى مدى الحياة . وادارت وجهها ، ومضت ... كالومضة الخاطفة !

ومن تلك الليلة ... لم اعد اراها سادرة في غنج سحري ، على تلك الطريق . لم اعد اسمع لها حفيف ثوب ، والتهاب انفاس . الى ان كان يوم ، وصلتني فيه رسالة منها ، فيها طيب وعقيق ... فيها سراب امل بعيد ... فيها نفحة من ايمان ، ولوعه من حب : ( واخرج صاحبي ، الرسالة من جيب سترته الداخلية الملاصقة للصدر ، في الجهة اليسرى حيث القلب ينبض ، ليقرأها على مسمعي . فقلت له : ان هذه الرسالة ، ستكون دعامة قصتي القادمة ومحورها . لذلك انصحك بعدم نشرها على الجمهور ، لكي لا تخسر قيمتها المعنوية في الأوساط الأدبية . فقال اني موافقك . )

- والان ماذا تفعل يا جان ؟

- اعيش على ذكريات الماضي .

- الم تفكر بمغامرة جديدة ؟

- كلا !

- ولماذا ؟

- لأني اقسمت على ان تكون ، مغامراتي الأولى والأخيرة في هذا المضمار .

- انت تحبها مع معرفتك بشخصيتها ؟

- اجل !

- وهل ستبقى على هذا الحب ؟

- الى ان يفنى العالم ويموت الحب !

- انك لشديد الخلاص لمن احببت ؟

- وقلبي ينذرني بأنها مخلصة في حبي .

ـ لقد قلت لي انك كفرت بالحب ؟

ـ كفراني بالحب ، جعلني اخلص لمن احببت !

ـ انك لم تخطىء عنـد مـا قلت لي ، سمي القصـة :
كبرياء محطم !

◎

هذه هي القصة !
وما ابدعها من قصة !
هو ولهان بها ،
مدنف في هواها ،
يريدها امام عينيه ،
في كل لحظة .
وهي ضحت ،
بحبها وحياتها ومستقبلها ،
في سبيل شخصيته ،
ورفع وصمة العار عنه .
انـه حب !

لأبدي ...

اليك عني ايتها الحياة ،
فالموت ارفع مقاماً منك ،
لأذهب الى الجحيم !

لقد تعبت يدي .
وشاخ القلم بين اناملي .
واقبل الغروب ،
وانا هائم ،
في وادي الذكريات ،
اجل !
وادي الذكريات !..

اني لم اكتب للان ،
شيئاً يذكر .
وها قد مضى النهار ،
ولم احس بالجوع ،
كأني روح بلا جسد .

هل تسمعين ؟..
ياقاتلة حياتي ،
هل تسمعين ؟ !.

نداء الروح ،
اعمق من اي نداء ،
لذلك احببتك !

وغرام الآلهة،
اقوى من غرام البشر .
فغرامي لك ،
كان ولم يزل ،
فوق كل غرام ،
يا اليسار ...

حسبي من بقائي ،
اكمال هذه المذكرات ،
فنجمي قريب الأفول .

لمن الغباوة ،
يا اليسار !
ان اصل اليك ،
بذكراتي هذه ،
لأتعذب .

ها ...
هذه قطعة من دمي ،
تفثتْ من فمي ،
معلنة لروحي ،
مصرع الحياة قريب !

لا اعلم !
بعد قليل ،
سينفد الزيت ،
واغور في الظلام .
اذن !
لأطفأ النور ،

فصدري يطلب من يحنو اليه ،
لأضع يدي عليه ،
وابقي لغدي ،
هذي الثالة .

اني استودعك ،
ايها الليل ،
حياتي .
فلأنام ...

طلع الصباح ،
وهو يحلم !
بذلك الشعر الحوري .
كيف راح ...
وذلك الوجه الجميل ،
كيف مضى ...

وخيل الي ،
ان صاحبة الصوت الحنون .
ورفيقة الجرة والعين .
وشاعرة الظلال .
بالقرب مني ،

بين يديها ،
مزمار داوود ،
وعلى شفتيها ،
ترنيمة الملائكة .
وامام ناظريها ،
لوحة ميخائيل !

وعاد النسيم ...
يلثم جبيني ،
ويدغدغ وجنتي ،
فأفاقني من حلمي الذهبي .
ورأيت واقعي الأليم ،
فبكيت ...
وبكيت ...

ومرت بعد ذلك ...
جمهرة من العصافير .
فكانت تغرد ،

بلحن حزين ،
متقطع ...

فقلت لنفسي :
مسكينة تلك العصافير .
هل هي تخافني ؟
ام تبحث عن شيء ،
عزيز لقلبها ؟
ام هو قلبها بالذات ؟!

مثلما راح قلبي ،
مع التي احب !
فلم اعد قادر ،
على استرجاعه ...

فأسمع نبضاته الأخيرة ،
من بعيد ...
من بعيد ...

تتلاشى وتضمحل .

وعدت من حيث اتيت .
كانت الغزالة ،
«مشرشرة» خيوطها الفضية ،
على معبدي المسكين الباكي .

مضى على كتابة هذه المذكرات ،
يوم .
وهذا هو اليوم الثاني ...
اطويل كالابد ؟؟
ام قصير كعمري ؟؟
ام هو بين الاثنين ؟!

للآن لم اكتب شيئاً ،
عن اليسار ...
فما هو السبب يا ترى ؟
أ اخاف الكتابة عنها !..

ام !...
ام ماذا ؟!..

لعمري ...
اتوجد كتابة ،
اروع من كتابة عاشق محروق ...

انها مذكرات ،
خالدة مع الايام ...

سيأتي جيل ،
بعد اليسار ،
ينظر اليها ...
ويقرأ ما فيها ...
ثم يهتف :
لصاحبها الخلود .

أأحلم كالصغار ؟..
ما دراني ،

ان اليسار ،
ستأتي ...
في غيابي القسري الطويل ،
وترى المذكرات ...
فتمزقها ارباً ...
رباه !..
ما دراني ؟..

اليسار ...
صانعتي وقاتلتي ،
في آن واحد ،
لله ما اقواك .

لا ...
لن انسى قصة حبنا .
وكيف لي ان انساها ،
وقلبي الجريح ،
وحياتي الفدى ،

كيف ؟؟.
ستبقى امامي ،
شعلة لن تخبو ،
تتحدى الفناء .

أأنا في العشرين ؟!
دمعة على الشباب ...

عندما احببتك ،
لم اكن صبياً ،
في الخامسة عشر ،
كما ادعيت ،
وعلموكِ !..
ولا مراهقاً ،
كما وصفت ،
وفهموك !..
ولا عظيمة انت ،
يوم قالوا لك أتركيه ...

واليك الارجوان والحرير ،
والفضة والذهب !
فخدعتني ،
وخدعوك ...

في ذلك الحين ،
هناك ...
على كتف العين ،
كان لقاؤنا ،
ومولد حبنا ،
الا تذكرين ؟..

... ساعة كنت اترك البيت ،
وآتي العين ،
لا لشيء !
الا لرؤيتك ،
وانت تعبئين الجرة ،
وتغسلين وجهك الصبوح ،

وقدميك العاريتين .

... ولم يكن اسمك ،
قد وصل الى سمعي ،
آنذاك !
بالله يا اليسار !
هل تذكرين ؟!..

لقــد حز الالم نفسي ،
عندما رأيتك ،
تديرين لي ظهرك ،
لا لعداء ...
بل لاني اختلست النظر اليك ،
وانت تنحنين على الارض ،
لحمل الجرة ...
فبانت كنوز صدرك ،
مقمطة ،
كطفل صغير ...

ومرت ايام ،
خلتها سنين ...
كنت آتي كل يوم ،
الى العين ،
ظناً بأني سأجدك ...
واأسفاه ...
لقد خيبت ظني !

اليسار ...
اليسار ...
سهم الحب ،
جمع بين قلبينا .

عند الغروب ...
والقطيع يرعى .
وانت جالسة ،
على صخرة ناعمة ،

ملساء ...
كوجهك الملفوح !
وعلى فمك ،
ذلك المزمار ...
يذوّب القلوب ألحاناً .
وفجأة ! . .
جفل القطيع . . .
فصرخت صرخة داوية ،
ارتجت لها ،
اركان الوادي .
من رأيت ،
وقتذاك امامك ؟ . .
انا ؟ !
أليس كذلك ؟ . .
بلى ! بلى !
واذا بي ،
اخوض غمار الموت ...

واذا بين يدي ،
انا ...
افعى تقطر دماً ،
لولا السماء ...
ولولا وصولي اليك ...
اين كنت الان ؟ ..

اني لا انكر ،
اعترافك بجميلي .
وبامتداد يدك الي ،
مصافحة شاكرة .
سحرٌ !
تلك اليد الممدودة ...
ما ان لامست يدي ،
حتى مستها رعشة .
لست ادري ما هي ؟
على كل حال ...

لقد مستها رعشة ،
فاذا بها ،
باردة كالثلج !

... وعدتِ الى العين ،
وما ان تلاقت نظراتنا ،
حتى قلت لي :
بورك فيك ،
ايها البطل المغوار ...
هكذا قالت امي .
وعلى هذا وافق ابي .
اما انا فأقول :

« اليسار » فخورة بك ،
وبصداقتك ...
كن العامل الجاد ،
في بقاء هذه الصداقة ،
الى الأبد !

ولأول مرة ...
ترنم قلبي ،
باحرف اليسار .

ولاول مرة ...
شعرت بسحر القمر ،
وسكرت بنسيم الليل ،
وارتوى قلبي !

اقبل الليل ...
سريع الخطى ...
ايتها المذكرات .
وزيت السراج ،
على وشك النفود !

اوى الدوري ،
الى عشه .
ونامت الساقية ،

وهي تشخر .
وتعالى نقيق الضفادع ،
يودع المساء .
وانت يا اليسار ...
لا قلب لك ،
فرفيق الحجر!

ذكرياتي بلسم ،
لمن يتمعن بها .
وعلقم لمن يهملها .

هذا يومي الثاني ،
اجل يا اليسار — ،
على كتابة هذه المذكرات ...
ليته يطول ...

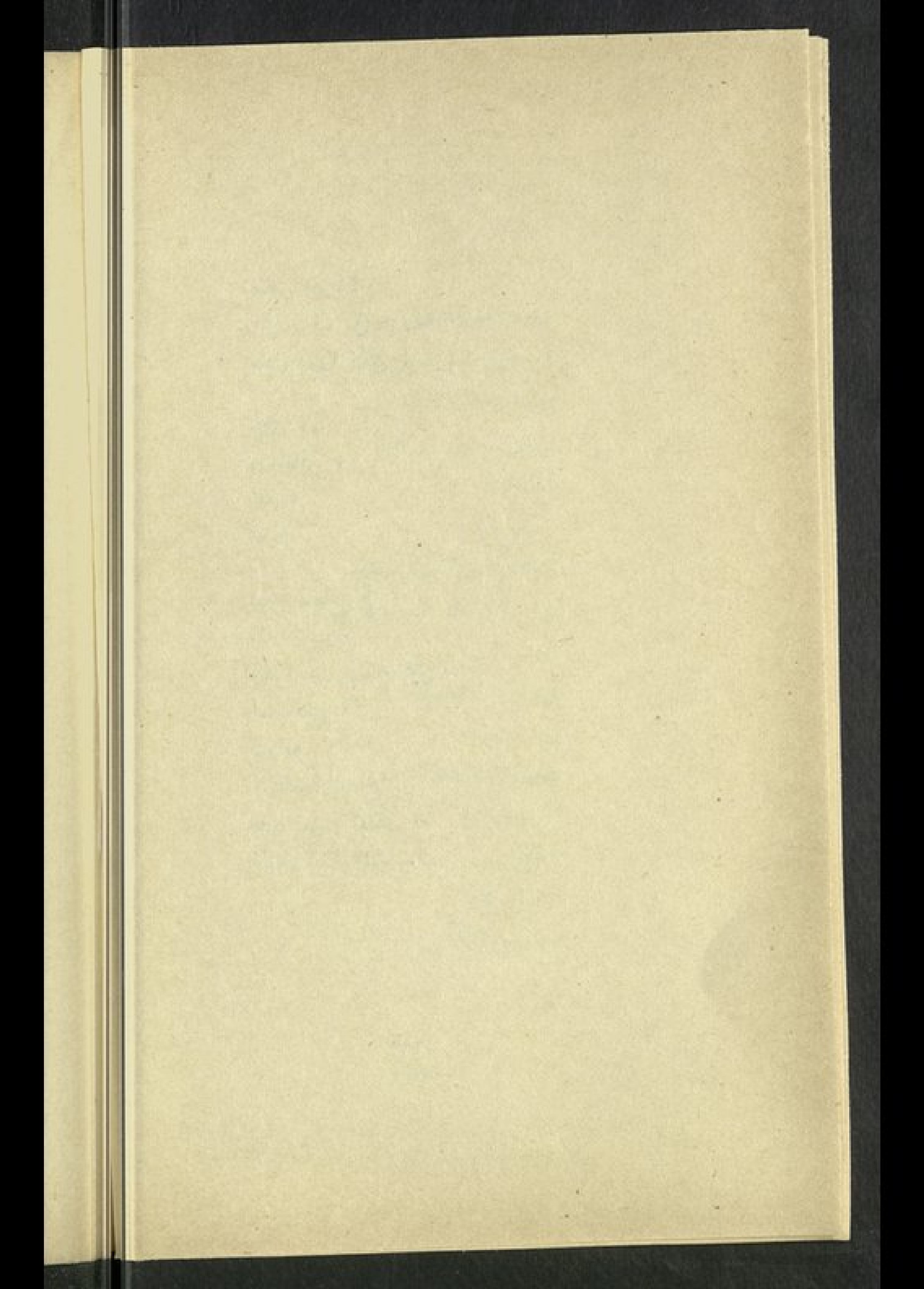
قد تقولين فيما بعد ...
— اي بعد موتي —

وبعد رجوعك من الغربة ،
ومرورك بالقرب من هذا المعبد ،
وهذا مما لا شك فيه ...
وعثورك على اوراق ،
صفراء ...
لم تزل حية ،
تتحدى العواصف والرياح .
وبعد اطلاعك عليها ستقولين :
عجب ! ..
على هذه المذكرات ...
افي كل يوم ،
بضع كلمات فقط !
الا تعلمي ،
يا قاتلتي ...
ان كل كلمة ،
من هذه الكلمات ...

تضاهي دهراً !
وكل حرف من حروفها ،
يعادل دورة زمن !

كلماتي ...
نور للعاقل .
ونار ،
للجاهل .

اصبح متعذر علي ،
ان اكتب ،
وقد اسدل وشاح الليل ،
امام عيني ،
سواده .
الوداع ! الوداع !
هاك دمي يا اليسار ،
يتفاقم شيئاً فشيئاً ...



افقت هذا الصباح ...
اليأس يستوسل بي ،
والالم يرهق نفسي !

قلت : انها ايام ،
وسأتبخر !
لِمَ اليأس والقنوط ،
هل يزول الموت ؟ ..

اني اذكر ، ـ
اجل ...
ارى تلك الساعة ،

قد تجسمت الآن ،

امام عيني !

مولدة من الصداقة حب !

ومن الحب لحن الحياة ! ..

على سفح الجبل ...
وتحت ظلال الصنوبر ...
عند الفجر ...
كل يوم ،
كنت اذهب الى هناك ،
حيث اللقاء .

وفي ذات مرة !
كنت في انتظار ،
اليسار ،
مسند رأسي ،
الى اصل شجرة ،
وبين يدي ،

كتاب ،
كنت قد اشتريته ،
منذ مدة قصيرة ،
تربعت على غلافه ،
حروف كبيرة ،
ابدع الخطاط في رسمها ،
فبانت اكاليل من الدموع ،
مثلت الكتاب ،
فهو « وحي الالم » ،
يضم مجموعة ،
من المقالات الانسانية المهذبة .

كنت اقلب صفحاته ،
بشيء من العجلة ،
حتى استوقفني ،
عنوان « قنوط » .
فأخذت اقرأ ...

ما ضرني لو نقلته ،
الى مذكراتي هذه .
فلابدأ اذن :

◎

ما نظرت اليه قط الا وراعتني منه ، تلك الغفوة الحالمة عند المغيب . او قل ، ذلك القنوط المستولي عليه والمالك جميع مشاعره . كلما اردت التقرب منه ، والدخول الى نواياه ... ابعدني عنه بشذوذه ، لاعناً يومه ! باكياً ماضيه ! متشائماً بمستقبله ! انه ياصاح ، من اولئك الشباب الذي ليس امامه سوى العذاب والحرمان ، يضرب عرض هذا الوجود فلا يرى الا الغبار الحاجب عن أعينه ، طبقات طوتها الايام في مواكب العمر ... وليست هذه الطبقات الا بقايا منه ... فهي الذكرى الوحيدة له .. الذكرى التي تبعث في حناياه صوراً وتعابير ، لماضٍ بعيد ، تلاشى كالاصداء .

ما جلست اليه مرة ، الا وجدني بتلك النظرة الغريبة ، التي تخفي تحت طياتها ، اشياء واشياء ، اطياف

واطياف ، فتراني امامه في شبه ذهول : الدموع تترقرق في عيني ، يداي تتقلص ، قلبي ينبض نبضات سريعة ... وما هذه الدموع ... وهذا التقلص ... وتلك النبضات ، الا شاهداً حياً لشفقتي عليه واضطرابي بسببه .

كنت استحلفه ان يكلمني عن حياته . ان يقص علي ذلك الحلم المخيف الذي يراوده ، والذي قرح جفنيه من النعاس ، واسبغ على وجهه اصفراراً كالموت ، ولامس جسمه بشبه انحلال ، لكنه كان دائماً صامتاً صمت القبور ، يبحلق في اجواء هذا الفضاء ، عله يصل الى ضالته المنشودة .

صمته ، ذهوله ، هذيانه ، حقائق جعلتني الازمه طوال مدة شقائه ، بل مدة شقائي انا ، كأن دافعاً يحسني الى مراقبته وردعه عن ذلك الشبح المخيف ... ذلك الخيال المجهول الذي اراه منطبعاً على سيماء وجوهه . واحسه متغلغلاً في شرايين قلبه الى اغوار نفسه ، الا وهو الموت !

انه وحيد في هذا العالم ، انه وحيد ! ليس له

معين يعينه سوى نفسه ، ولا شخص يساعده على النضال في سبيل الحياه سوى ذاته . وهذا يأسه وقنوطه على ما يدعيه. لكني كلما قلت له ، انت اخي ، كلانا بني على الصراع ، كلانا منصهر في بوتقة الصداقة والايمان . كلانا رمز الكون والحياة ، رمز الحب والجمال ... تقهقر باسطاً ذراعيه الى الامام ليبعدني عنه . فرائصه ترتعد كقصبة في مهب الريح. نفسه بلغت ذروة الصراع بين الموت والحياة ، وللحياة في ذاته النصيب الاوفر ، فيبكي بكاء الاطفال ويذرف الدمع مراً ليصور شباباً ثاكلا وحياةً تعيسة لا اكثر ولا اقل .

كان يخاف كل شيء حتى ظله . يسير من هنا الى هناك مفكراً آنا تفكير فيلسوف ، يهذي آونة هذيان معتوه . لم يكن يؤمن بي او بتضحيتي في سبيله ، بل كان يخافني كأحد اعدائه ، لذلك لم تنفع فيه نصيحة بل زادته توقداً وتشبثاً بحياته وعذابه .

كنت اقضي الايام معه ، متنقلا من الواقع الى الخيال ، باحثاً عن السعادة لاضعها بين يديه ، والامل

امام عينيه . لكني كنت غبيـــاً في بحثي عن السعادة وتعلقي بالامل ، وما السعادة والامل الا طيفان يمران ساعة بحلو لهما .

كنت امضي الليالي الى جانبه ، اواسيه واخفف عنه الاحزان والالام . لكنك هـل كنت تقدر ان تمنع الندى من السقوط في اثناء الليل ؟... تركته على سجيته ، يندب ويبكي ، ما شاء له الندب والبكاء .

والان ... الان ياصاحبي . في هـذه الساعة بـل الدقائق . وانت تقرأ بقايا شذرات عن حياتـه ، بعد ان طردني من صومعته ، مدعيـاً انني عبء ثقيل عليـه . فلاتركه يتخبط في خضم هذه الحياة وحده ، لا من يدينه ويشفق عليه .

انه يعيش كسراج على وشك الانطفاء !

وكزهرة بيد القدر ، تصفر وتذبـل ، الى ان تتناثر شظاياها معلنة بغروب الحياة .

لقد صدق حين قال : انه وحيد في هذا العالم ، انه وحيد !

لانه اراد الوحدة لنفسه ، فسجنها في قفص العبودية والالم .

لانه اتهم ذاته بالجبن والخوف ، وهي بعيدة عن ذلك ، فجسدها الى الواقع .

لانه لم يشق مستقبله ، ولم يفتش عنه ، بل اراد ان يمشي الى هـذا المستقبل عن طريق الذكريات ... وهذا منتهى التعاسة ... فذهب مستقبله ، وتلاشت ايامه بتلاشيه !

◎

وما انتهيت ساعتذاك ،
من قراءة المقالة .
حتى سمعت ،
صوتاً انثويا يقول :

قنوط !
فأدرت وجهي ،
لأجد اليسار ...
وبصوت كأنه من الاعماق ،
اردفت :
يا للشباب المسكين ،
دع القنوط !
انا لك ما حييت ،
وسأبقى بجانبك ،
ارعاك ،
ضع رأسك على يدي ،
واستلقي بجانبي ،
ولنشرب معاً ،
كأس الحياة ...

هاك قلبي !
فأني اضعه بين يديك !

اليسار ،
لا تبخل عليك بشيء ،
فهي لك بكليتها .

لماذا نخفي شعورنا ،
والحياة فيضان شعور .
ما احيلى ،
ان تنقلب الصداقة ،
الى حب !
قلبي وقلبك ،
متحابان ...

اليسار ...
ايه حبيبي !

ان قلبي المعذب ،
لاقى من يهواه ...
وروحي المتألمة ،
بعثت من جديد !

لنتعاهد على الوفاء ،
يا اليسار ...
وما اعظم ،
عهد الهوى ،
والوفاء ،
والحب !

ان اليسار ،
لها قلب كبير ،
يا حبيبي .
ان عاهدت ،
لا الموت يفرق ،
ذلك العهد !

ان « وحي الالم »
قطعة من كبدي !
وشرد من روحي !
تعالي نضع ،

يا اليسار،
يمين الحب حتى الموت،
عليه ! ..

هيا ...
اليسار ،
ملك لك !

ان الصداقة ،
ولدت الحب بيننا .
فلن نخونها ،
حتى الموت !

بهذه الكلمات ،
قطعت يا اليسار ،
عهد الهوى !
قطعتيه على نفسك ،
بان تبقى على الوفاء،

فأحببتك حباً ،
يفوق الطهر والوفاء ...

كنت مجنوناً ،
اكثر من « جان » .
فحبي لك ،
لم يكن وليد تجارب ...
بل انتفاض قلب!
وانبعاث روح !

تلك « تريزا » ،
احبت ...
وضحت في سبيل الحب !
اما انت ،
احببت وماذا فعلت ؟
بالله يا اليسار ...

اليسار اليسار ...

بربك قولي :
لماذا ادعيت ،
حبي عاراً . . .
اصبح قلبي ،
قبضة من غبار ،
يتلوى على نار ،
ماذا صنعت؟
اليسار اليسار . . .

لقد انتصف النهار ،
وانا افكر ،
واكتب .
وسأبقى افكر واكتب ــ . .
حتى تكل يدي!
ويضعف ساعدي !
ويذوي جسدي!

هذا يومي الثالث ...
أرابع وخامس ايضاً؟
لست ادري ؟ ..

ومرة تواعدنا ...
وكان الوعد ان نلتقي ...
وكان اللقاء ،
على حافة غدير ،
بعيد عن القرية ،
وتأهبت ...
فأبدلت ملابسي !
وتزينت ...
وما هي الا دقائق ،
حتى كنت ساجياً ،
عند الغدير ...

واطلات يا اليسار ،

يومذاك ...

وعن بعد ،

رأيتك تقفين ...

لا تتحركين ...

كانت نظرتك الي ،

نظرة خوف وارتباك .

اني اذكر ...

اني اذكر ...

فهرولت اليك ،

اصغي لشكواك ،

وما الذها من شكوى !

من فمك القرمزي ،

قلت لي :

حبيبي اخاف ...

اجبتك :

ومما يا اليسار ؟

قلت : ان تهجرني يوماً ...

لاني وانا آتية اليك . سمعت الفتيات يتحدثن عنك وعن شبابك . وكل واحدة منهن ، تمـــني نفسها بآمال وآمال . فعلمت عندئذ بأنك مررت من امامهن .

قلت : وما ضرّ حبي لـك ، ما دمت اصم ... الا عن ندائك . واعمى . الا عن رؤيتك . وابكم ... الا عن مناجاتك .

فاجابت : اني اغار عليـك ، حتى مـن النسيم ، اني احبك !

ومرت اربع سنين ،
يا اليسار ...
كنا خلالها ،
عربوناً للوفاء والعهد ،
نبني من الأحلام والآمال ،
القصور والممالك ...

نبنيها على صخرة الأزل !

هه ... واأسفاه...
لم اكن لأعلم ،
ان بناء حبك ،
على الرمال ...
تذروه الرياح ،
ساعة تريد !

لم ادعوك للآن ...
يا اليسار ،
خائنة !

لأني احببتك ،
حتى في خيانتك .
فشكراً لك !

في سنة ...

دخل القرية ،
شاب غزير المال ،
قليل الجمال ،
يبحث عن شريكة ،
لحياته ،
كي يسافر وإياها ،
الى الغربة ،
شهور قليلة ويعود ...
- حيث هناك ،
المعامل والشركات ...
وخزائن المال -
تحت تصرفه ،
وتصرفها ،
هي !...
- اجل -

واهتزت القرية ،

رأساً على عقب !
الشاب يتنقل ،
من بيت الى بيت .
والامهات يعرضن بناتهن ،
للزواج ...

يا للغرور ...
ما اقبحه !
ويا للطموح ...
ما اوقحه !
اذا كان هذا الغرور ،
وذاك الطموح ...
على حساب شاب ،
لا يعلم !

الاغنام ترعى ...
على سفح الجبل !

وانا واياك ،
في بحر من السعادة ،
لا نعلم ،
ما خطه لنا الغيب ،
على صفحة القدر .

واذ ...
طرق سمعنا ،
صوت من بعيد ...
لعله من القرية :
اليسار ... اليسار ...
امك تناديك ،
فأسرعي !

وقلت لي :
الوداع . . .

وقلت لك ،

هاك قلبي ،
يا اليسار ...
فسيرافقك الى النهاية !

وكان وداع ...
ليس له ،
رجعة !..

لقد غرّك ،
في ذلك الشاب ، ماله !
فنسيت من افداك ...
قلبه !
وتركتيه ...
سفينة حيرى ،
في خضم الوجود .

ولم تعودِ ...
الى حيث كنا نلتقي !

فحنثت بي ،
وباللقاء ،
وبحبنا ،
وذهبت ...

فكأن الزمن !
في خسوف ...
والحياة ،
في احتضار ...

ولقد حط الحظ رحاله ،
على اليسار ،
ابنة الراعي ،
ونسيت العاشق المجنون !
وستتزوج ذلك الرجل الثري ...
وبعد اسبوع ،
او اكثر بقليل ...

ـير حلان ! »

بهذه الكلمات ...
كانت القرية تتهامس !

اما خرخرة النبع ،
فحدثت !
وظلال الصنوبر ،
شهدت !
ودموع عيناي ،
قالتا :
هنيئاً ...
ليسعدك الله !

هي الحياة :
بداية ونهاية ...
نور وظلام ...

ويلاه !...

أقضي علي ان اتعذب ،

وافنى في سبيل العذاب !..

أقضي علي ان اموت ،

صريع الهوى ...

وشهيد الفؤاد ...

آه من الغروب ...

ومنك اليسار ...

تلك قصيدة ،

كلون الشفق !

فاقرئيها ...

واسمعي قلبي الجريح ،

كيف يئن ويتوجع !

◎

سهت العيون ،

والشفاه ظمايا .

غابت الشمس ،
وابتلع المساء ...
حسن صبايا .
روحي تهفو الى المعالي ،
وقلبي ينبض بهوايا .
يدق يدق ،
لا يبالي ...
ويرقص يرقص ،
بين الخلايا ...

وللغروب في القلوب ،
هينمات شجت رؤايا .
كم مرة ...
هفت الشجون ،
وتألقت في مقلتايا ؟
والدموع ترقرقت ،
وذابت في الحنايا ؟

انا المصدور اشكي ...
وما ابخس من شكايا ...

انا لست ،
سوى شهب ،
ينير في الحنايا .
غير ان الجسم فان ،
مضمحل في الزوايا .
مسرعاً نحو المهاوي ،
تاركاً خلفه بكايا .

انا ابكي الحياة ...
وهي لا تبكي سوايا !
نائحة على ما مضى مني ،
نادبة على غدايا !
معلنة الغروب قريب ،
وهو آت ...

كالخطايا !
كأني به يقول :
انت مني ،
والحياة فيك بقايا .

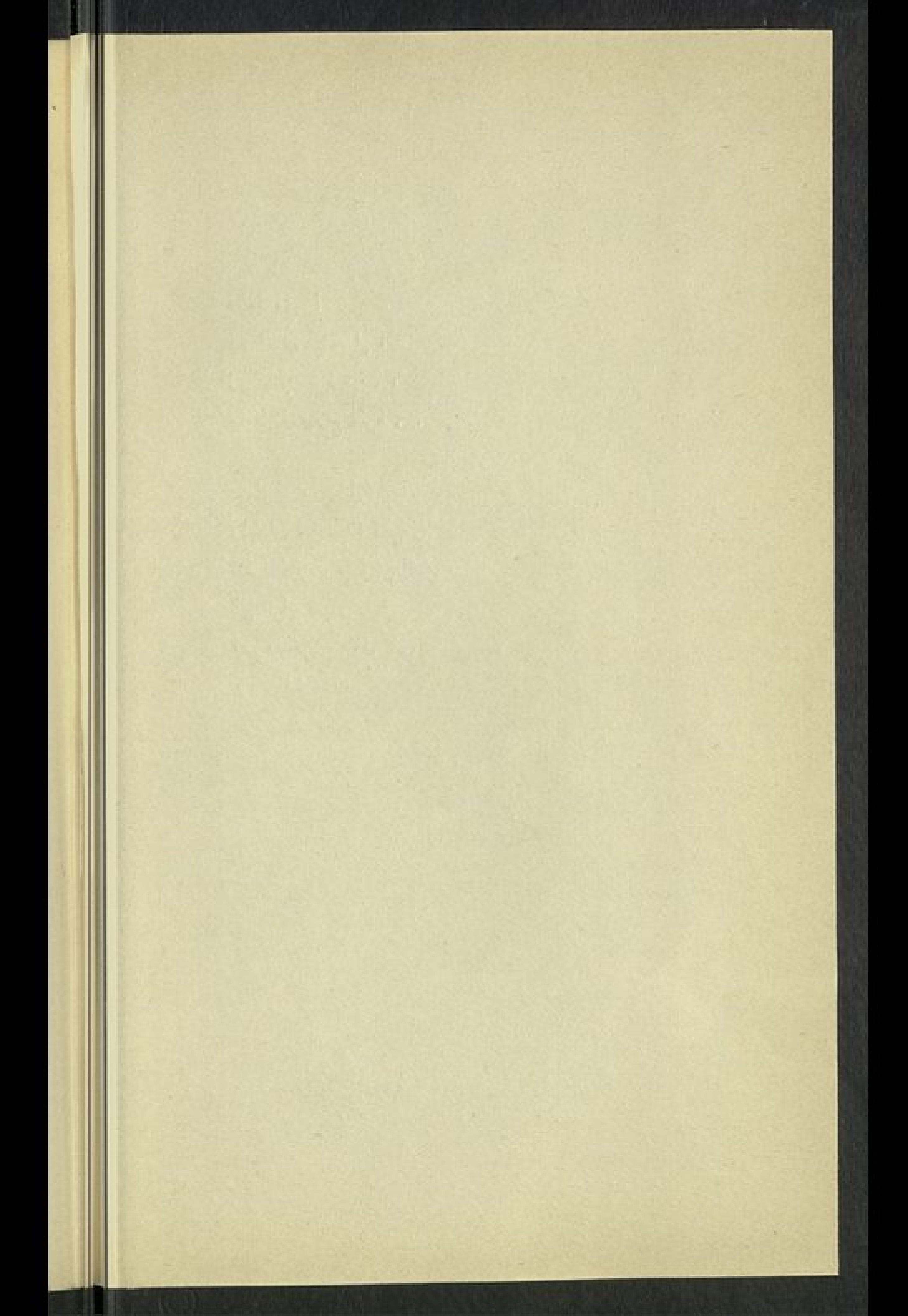
⊚

تلك هي ،
اشباح الليل ،
وقد اقبلت :
سكرى ...
معربدة ...
صاخبة ...
لتلتف حول مضجعي ،
لتبثني الكراهية للحياة ،
والحب للموت !
عندما القي برأسي ،
في الظلمات ...

اصبح فراشي ،

قطعة مني !
فهو الذي سيتحمل ،
زوال جسد ضعيف ،
وانطلاق روح ثائرة ...

سأطوي وريقاتي الآن ،
واخفف من حدة قلبي !
فقد انتصرت جيوش الليل ،
على انوار النهار .
فهي تدخل بالخلال ...
وقد اضناها ،
صراع الساعة .



كان الليل ...

لا يزال مهيمناً ،

على الطبيعة .

لكنه في عراك عنيف ،

مع خيوط النور ،

التي اخذت تندفع ،

كالشرارات المائجات ،

وتبدأ بالظهور ،

لتوحي بالفجر ،

وبيومي الرابع !

وعلى بعد قريب ،

مرت راعية ،
غادية مع الفجر .
على محياها ،
قبس من الحياء ...
ونور من الجمال ...
فتأملتها طويلًا ...
حتى غابت عن عيني !

واطل راعي ،
كاللؤلؤ الند .
من وجهه يطفح الدم !
وفي فتوته ،
الرجولة بعينها !
فتأملته طويلًا ...
حتى غاب عن عيني !

وما هي الا فترة ،

حتى رأيت ،
عن بعد ...
طيفين !
فقالت نفسي :
مثلهما كنت ،
وكانت .

اني اعيش ،
في جحيم من الآلام .
اصبحت كريشة ،
في مهب الريح !
برزت العظام من جسمي ،
بشكل رهيب .
حول المعبد ،
بقع على الأرض ،
من كبدي الحرقاء ...

ان قصتي ...

قصة !
قصة الحياة التي ابت ،
الا ان تكون كذلك .
قصة حبي المهدور .
قصة املي الموحي .
قصة عذابي الابدي .
قصة نفسي الثائرة ،
التي ستحطم قيود الجسد ،
وتنطلق في الاجواء .

لماذا خنت ،
يا اليسار ؟
اني لم اكن ،
لأعلم ...
ان قلبك يخون ،
ويسير حسب الاهواء !

النار في اضلعي ،

تستعر ...
نار الألم والحرمان ،
نار الجحيم !

«يا للشباب المسكين ،
دع القنوط ،
انالك ما حييت !»
انه سراب ،
يا اليسار ،
في سراب .
انه حلم آب ،
خيم عليه الضباب .

ثلاثة ايام مضت ! ..
وحدي مع الحياة ...

خاف الاقتراب مني ،
اولئك ...

بنو قومي !
لم أرَ لهم خيالاً ،
ولن ارى لهم خيال ...

حتى امي ،
يا للقلب القاسي !

وحتى ابي ،
يا للآباء !

كانت فلسفتي في الحياة ...
ان الحب يولد السعادة ،
يولد من الانسان ،
شخصاً آخر .
يميز الشك من اليقين !
والحق من الباطل !
والقبح من الجمال !

والغدر من الوداعة !
لكن واسفاه ...
خاب كل شيء ،
بصنيعك اليسار ...
فدفنتني حي ،
في قبر مظلم ،
من الآلام .

المادة فانية .
والروح للخلود ...

المال ... المال ...
هذا هو الصنف الزائف ،
الذي غرّك ،
وابعدك عني ،
فأصبحت جيفة فارغة .

كلون الشفق !

كبسمة الورود !
كشفاه النسيم !
كحرقة الفؤاد !
كلوعة الهائم !
كغدر الحبيب !
كسم الافعى !
كقلب كالحجر !
هام الدخان ،
من وادي الغدر ،
ليكوّن وجيه، اليسار.
اليسار عفواً ...
تلك هي الرياح ،
من الشمال الى الجنوب ،
لا يقر لها قرار .

نطقوا بأسمي ،
وشفعوه بكلمة مجنون ،

في بادىء الامر ،
بعد خيانتك لي ،
اولئك ابناء القرية ،
يا اليسار ...

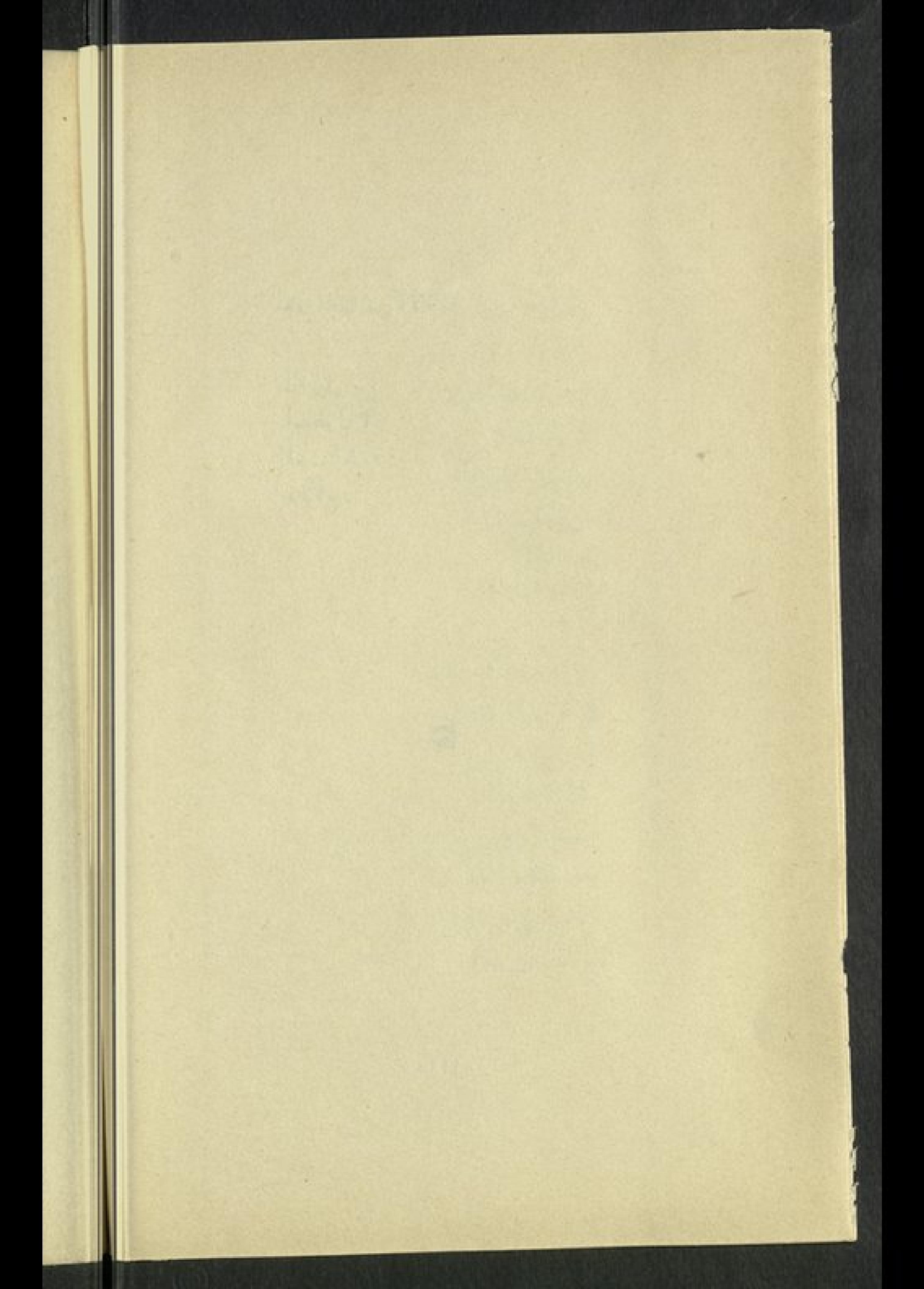
ثم عادوا قائلين :
هو اصم !
ابكم !
اعمى !
غبي !
يا الله ...
أأناس هم يتكلمون ؟
يفكرون وينظرون ؟
يتألمون ويحزنون ؟
يفرحون ويضحكون ؟
ام قلوبهم قدت من حجر ؟ !

وافكارهم تلاشت ،
في الرماد ! ؟
اجمدت الضحكة ،
على شفاههم ؟
ونضبت الدموع ،
من مآقيهم ؟
ام ماذا ؟؟
ماذا يا الله ؟ !!

لقد امسى « كيوبيد » ،
في طريقه الى الزوال .
لانه شهد ،
ما بنت يداه .
اصبح لا يطيق نفسه ...
عاف الحب واهله ...
وهام يبكي ويتألم !
ما اعزه من بكاء ،

وما اجملها من آلام .

انه ليل ...
أسيطول ؟
لست اعلم ،
فالأنام .



من القرية ...
من بعيد ...
ومن قريب ...
من ذكرى اليسار ! ..
كانت ساعة الكنيسة ،
عند الفجر ،
تعلن الخامسة .
وهذا هو يومي الخامس ،
في كتابة هذه المذكرات .

ارى الساعة ،
قد قربت ،

وصرت على شفير الهاوية .

نفسي تبكي !
وانا ابكي !
فويل للبكاء ...

حطمت المرآة ،
كي لا ارى وجهي الثقيل .
حطمت قلبي ،
كي لا اسمع نبضاته .
ومع ذلك ينبض ،
لكن لساعات ...

لم اعد قادر ،
على الوقوف !
اصطكت ركبتاي !
تقلصت اعضائي !

ويل الحب واهله !! .

سنة مضت !
على فراقك لي ،
يا اليسار ...
يا ابنة الراعي ،
واخت الغاب ...

اين الماضي ...
يوم كنت جميل الطلعة ،
ذا شعر اسود ،
كشعر «نوت» .
يوم احببتك اليسار ...
وعينان زرقاوان ،
مثل زهرة «اللوتس» .
ولون ابيض ،
مثل المرمر الذي داخل الهياكل .

والآن ... الآن...

لقد ذهبت هذه المحاسن ،

كلها ! ..

لذلك اذكرها ،

دون خجل !

أنذ صاغتك الطبيعة ،

يا اليسار ...

عظيمة !

مثل الصاعقة ...

مليحة !

كلمعان البرق ...

قاسية !

كالوباء ...

ضاعت الدنيا ...

الدنيا ضاعت ...
واكبدي على الدنيا !
لا ... لا ...
انا الذي ضعت !

ويلاه !
دماء دماء ...
من كبدي دماء ،
من فمي دماء ،
من روحي دماء ،
ومنك يا اليسار ...
دمعة حرقاء !

اراني اذوب ،
شيئاً فشيئاً ...
احس روحي ،

فرحانة ! جذلى !
بقرب خلاصها من عبودية الجسد ،
وانطلاقها سابحة ،
فوق محياك ،
يا اليسار ...
انها لم تزل تحبك ...
فافرحي !

الدنيا تدور !
ودوامة العمر تدور ...
وانا :
ادور ...
لكني سأقف بعد قليل ،
واقول الوداع !

تلك نفسي ،

بدأت في النزاع .
ارى الموت امامي ،
باسطاً ذراعيه .
لم اعد اطيق الكتابة ...
لم اعد اطيق نفسي !

« ملعون ...
« كل من يدخل معبدي !
« وملعون ...
« كل من يسرق مذكراتي ،
« بعد موتي !
« وملعون ...
« كل من يضع يده ،
« على رفاتي !
« غير ان اليسار ...
ما دامت حياتي فداها !

« فكيف بالمذكرات ...
« لتأتي اذا شاءت.

هذه الكلمات ...
خطتها بخط عريض ،
على لوحة ،
داخل معبدي !
لتكون وصيتي الأخيرة.

اشهدي ايتها الحياة ...
اشهدي موت الحياة ...
وغروب الحب !

اشهدي صفعة رعناء ،
على قلبي !
وغشاوة كلحاء ،
امام عيني !

لم اعد ابصر شيئاً ...
ظلام ، ظلام ...
ما عدا اليسار ...
حتى القلم بات يرتجف ،
بين اناملي !
والكلمات ،
كأنها عراك في عراك !

ها اني اودع الحياة ،
لاستقبل الموت !

هكذا ارادت ،
سنّة الحب !
الوداع اليسار ...
الوداع يا خائنة ...

بالعار ...

ستدعوك الأيام !

الوداع ... الوداع ...

«أجل»

انا في العشرين ...

دمعة على الشباب !»

اليسار ...

لم ازل احبك.

اليسار ... خائنة

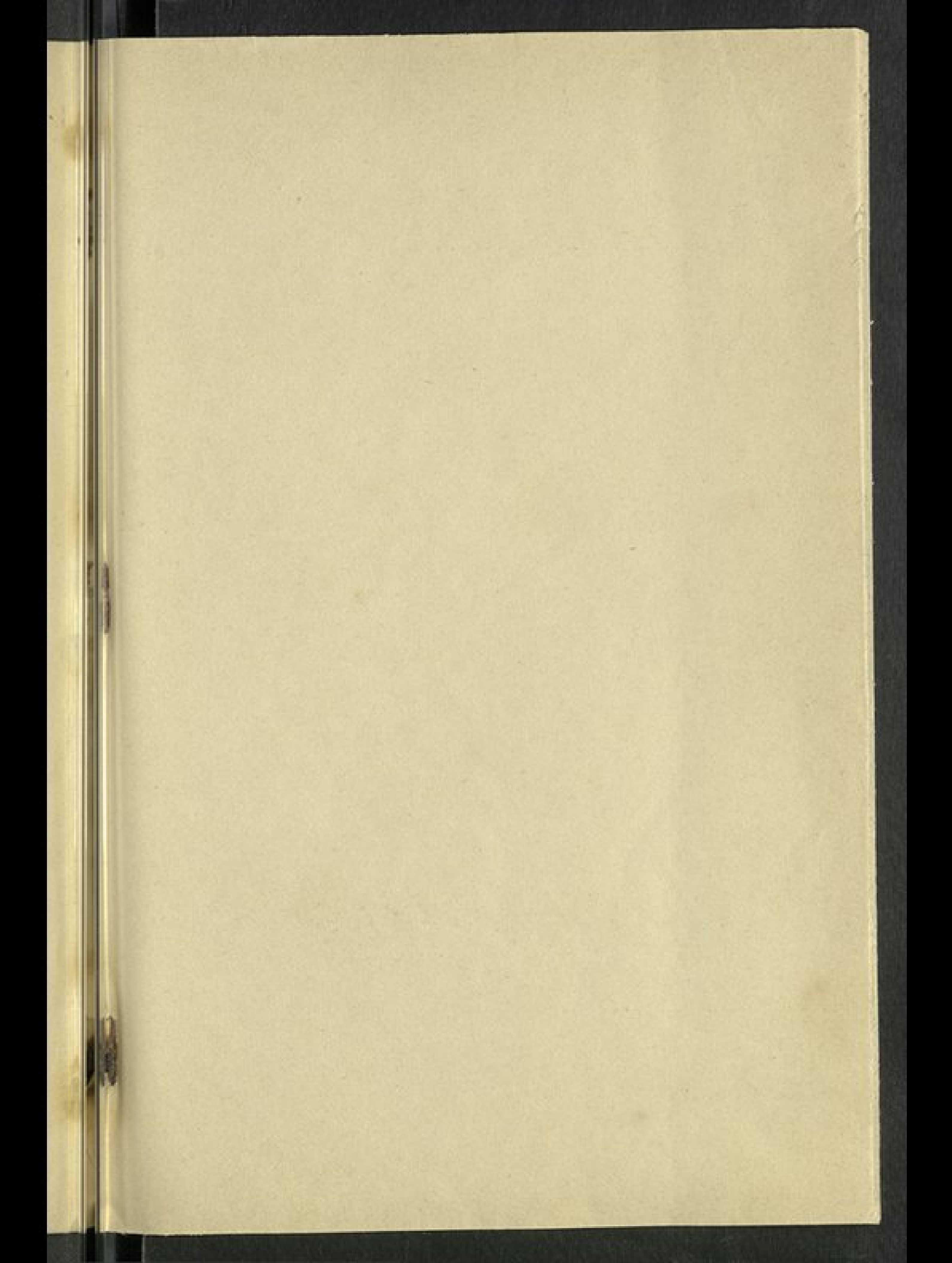
اليسار ... مجنونة

اليسار ... عبدة المال

اليسار ... « امك تناديك »

فاسرعي ! »

وقلت لي الوداع ...
وها انا اقول لك الوداع ...



تم طبع
هذا الكتاب على
مطابع لبنان - بيروت
في آب ١٩٥٥




مطابع لبنان - بيروت
٢٥٠ غ.ل.